الصناعات الزراعية في بلاد ما وراء النهر منذ قيام الدولة السامانية حتي سقوط الدولة الخوارزمية

(٢٦١هـ/ ٦٢٨هـ - ٨٨٤ - ١٢٣١م)

الباحثة

شيماء محمد عبد المولي محمود

عدد يناير ٢٠١٩

مقدمة

تعددت الصناعات التي اعتمدت على الإنتاج الزراعي في بلاد ما وراء النهر وتنوعت ، وذلك بسبب توفر المواد الخام اللازمة للزراعة سواء نباتية مثل القمح والقطن والأشجار أو مواد خام حيوانية مثل الجلود والأصواف والفرو والأوبار ، كما كان للموقع الجغرافي المتميز لبلاد ما وراء النهر وخصوبة تربتها وتنوع محاصيلها سهل من توفير البيئة اللازمة لازدهار الصناعات الزراعية وتعددها ، ومن العوامل أيضًا توفر الأيدي العاملة مما سهل من جني المحاصيل الزراعية اللازمة للصناعات الزراعية ، وأيضًا حاجة سكان بلاد ما وراء النهر لمنتجات الصناعات الزراعية ، فكانت تقوم بسد حاجة سكانها وتصدير الفائض منها للبلدان المجاورة ، وتنقسم الصناعات الزراعية إلى صناعات غذائية مثل صناعة الخبز وصناعة حفظ وتجفيف الفاكهة وصناعة الزبيب وصناعة الألبان وصناعة الزيوت وغيرها من الصناعات ، ثم الصناعات غير الغذائية مثل صناعة المنسوجات سواء القطنية أو الصوفية أو الحريرية ، أو صناعة الكتان والصناعات الخشبية والصناعات الجلدية وصناعة الورق وغيرها من الصناعات.

أهمية موضوع الدراسة

١- التأكيد على مدى أهمية المادة الخام الزراعية في قيام النشاط الصناعي

٢- الكشف عن مدى حاجة سكان بلاد ما وراء النهر للمنتجات الصناعية

٣- توضيح أثر النشاط الصناعي على ارتفاع مستوي معيشة سكان بلاد ما وراء النهر

الدراسات السابقة للدراسة

١- هويدا عبد المنعم سالم ادريس: مدينة بخاري في العصر الساماني، رسالة ماجستير بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١.

٢- محمد مهدي خليفة: إقليم الشاش منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي،٢٠٠٨م.

٣- عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم: خراسان في عهد السامانيين (٢٨٦ – ٣٨٩هـ/ ٨٩٩ – ٩٩٩م)، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، السباعي محمد السباعي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م

الصناعات الزراعية

تهدف الصناعة بصفة رئيسية إلى تحويل معطيات الطبيعة من صورتها الأولية إلى ناتج يحسن الاستفادة منه لذا فهي المقياس الأنسب لمعرفة مدى تقدم مجتمع من المجتمعات[١]، وعدت الصناعة الركن الثاني من أركان الاقتصاد في بلاد ما وراء النهر، إذ كانت توفر ما يحتاجه أهالي هذه البلاد من ملابس وأثاث المنازل، والأدوات المختلفة التي يستخدمونها، فلهذا فهي توفر الكثير من الأغراض[٢].

---

(١) الجويني: تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١٠٧؛ بارتولد: تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٢٦.

(٢) الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت ٣٠٩هـ /٩٢١م) : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ،١٩٦١م، ص١٦١ ، ١٦٥؛ نعمة علي مرسي: الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي ، الدولة القرخانية، دار الهداية للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ،١٩٨٧م ، ص ١٠١؛ محمد مهدي خليفة: إقليم الشاش منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب ،جامعة جنوب الوادي، ص١٠٤.

كما شهدت تلك البلاد نشاطًا صناعيًا لا يستهان به، حيث قام أهالي بلاد ما وراء النهر ببيع مصنوعاتهم إلى الغرب وإلى الصين، مع أن أهل الصين لا يستحسنون صناعات غيرهم وهذا دليل على ما بلغته صناعات بلاد ما وراء النهر من الرقي[١]، وقامت الصناعة في بلاد ما وراء النهر على الحاصلات الزراعية بصفة أساسية

أولًا عوامل ازدهار النشاط الصناعي:

من أبرز العوامل التي ساعدت على قيام النشاط الصناعي في بلاد ما وراء النهر :

١- **وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة:** بالنسبة للمواد الخام النباتية فقد مثلت نسبة كبيرة من المواد التي تدخل في الصناعات المختلفة مثل القمح والقطن والأشجار والنباتات العطرية[٢]

كما توفرت المواد الخام الحيوانية والتي تمثلت في الجلود والأصواف والفرو والأوبار[٣]والمواد الخام المعدنية فقد انتشرت في ما وراء النهر العديد من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والزئبق والنوشادر[٤].

---

(١) حسين المسري: تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت ، ١٩٨٢م، ص٢٧٤.

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ،ص١٦١.

(٣)الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٦١

(٤)الإصطخري: مسالك الممالك، ص ١٦١ – ١٦٢؛ البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد ت:٤٤٠هـ /١٠٤٨م) : الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر أباد ،الدكن ،١٩٥٨م، ص ١٧٥ – ١٨٠؛ رمزي رمضان شعبان سبلة: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سمرقند منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة السامانية ٥٦ – ٢٦١هـ / ٦٧٦ – ٨٧٥م، رسالة دكتوراه، كلية آداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٧م، ص ١١٧

٢ـ **الموقع الجغرافي الممتاز**: كان الموقع الجغرافي أحد عوامل التقدم الصناعي فقد ساهم هذا الموقع في تعلم سكانها لبعض الصناعات من حضارتين من أعظم حضارات العالم القديم وهما الصينية والفارسية [١].

٣ـ **سهولة تصريف الصناعات في الأسواق الخارجية.**

٤ـ **وفرة الأيدي العاملة**[٢]: مما ساعد على تقدم الصناعات النباتية في ما وراء النهر توفر الصناع بها في مختلف الصناعات ، فكان لكل فئة منهم مكان خاص بهم معروف بإسمهم[٣].

كل هذه العوامل ساعدت على تقدم الصناعة وتنوعها وفيما يلي أعرض أهم الصناعات الزراعية في بلاد ما وراء النهر.

الصناعات الزراعية

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٨١؛ ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة: سعاد ماهر ،١٩٥٤م، ص٢٦٢

(٢) براون وآخرون: تاريخ الحضارات العامة، ج٣، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٩٧؛ عطية القوصي: الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٢؛ عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم: خراسان في عهد السامانيين (٢٨٦ – ٣٨٩هـ/ ٨٩٩ – ٩٩٩م)، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، السباعي محمد السباعي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٦٦؛ إيمان محمد زكي: الأحوال الاقتصادية في خراسان عصر السلاجقة، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٤٦.

(٣) ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م: صورة الأرض، الطبعة الثانية ،ليدن ،١٩٢٨، ص٤٩٣؛ الثعالبي(أبي منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري ت ٤٢٩هـ ١٠٣٧م): لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأنباري وحسن كامل الصيرافي، ص ٢١٩.

أولًا: الصناعات الغذائية:

*صناعة الخبز:

نظرًا لكثرة الحبوب الغذائية في ما وراء النهر فقد قامت بها صناعة الخبز، وممن اشتهر بهذا العمل أبو بكر بن يزداذ الخباز الذي سكن بخارى وحدث بها عن جماعة من أهل العلم[١]

وقد ظهر نوع رقيق من الخبز يطلق عليه (دغول) وأختص بأكله أثرياء المدينة وكان هناك ثلاثة أنواع رئيسية للخبز وهي خبز الخميرة والخبز السريع والخبز المفرود وعرف الخبز المفرود في الشرق العربي باسم الرغيف وكان يصنع من القمح وأيضًا كان هناك الخبز العربي وهو الأكثر انتشارًا في الدول العربية[٢]واشتهر بصناعة هذا النوع من الخبز أبو العباس محمد بن عبد الرحمن، من أهل بخارى، وعمه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن[٣] قدم بخارى وسكنها وحدث بها[٤].

---

(١) النرشخي(أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي ت ٣٤٨هـ /٩٥٩م :: تاريخ بخاري، عربة أمين عبدالمجيد بدوي ، نصر الله مبشر الطرازي ،الطبعة الثالثة ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦٥م، صـ٢٩.

(٢) النرشخي: تاريخ بخاري، صـ٣٠ .

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن رشيق القيرواني هو أحد الأدباء والشعراء المشهورين في المغرب العربي توفي ٤٥٦هـ من مؤلفاته كتاب الصدة في معرفة صباغة الشعر، معجم الأدباء، ج٨، ص١١١.

(٤) المقدسي(شمس الدين أبو عبدالله محمدبن أحمد بن أبي بكر النباء البشاري ت ٣٨١هـ /٩٩١م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طباعة بريل ،ليدن ،١٩٠٩م، ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي(أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموى ت ٦٢٦هـ /١٢٢٨م): معجم البلدان، دار الفكر، ج ٣،بيروت ، د.ت ، ص ٤٠٩؛ القزويني(زكريا بن محمد بن محمد): اثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر ،بيروت ،د.ت ص٥٤٣؛ القرماني(أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ت ١٠١٩هـ /١٦١٠م): أخبار الدول وأثار الأول ،تحقيت : أحمد الحطيط ، فهمي سعدة، المجلد الثاني الطبعة الثالثة ،عالم الكتب

٢-صناعة حفظ وتجفيف الفاكهة:

لقد كان حفظ الفاكهة معروفًا لدى الأثرياء من أهالي بلاد ما وراء النهر فكانوا يقدمون للضيوف الفاكهة في غير أوانها مثل المشمش والخوخ والتين والعنب[١].

والجدير بالذكر أن عملية الحفظ المؤقت لبعض الخضروات الطازجة من أهم الصناعات الغذائية لما لها من تأثير مباشر على اقتصاديات المناطق الزراعية التي تعتمد على تصدير منتجاتها من خضروات وفاكهة[٢]، وقد عرفت خوارزم صناعة تقديد البطيخ وتعبئته للاحتفاظ به طوال أيام السنة، كما كانوا يعملون منه أحيانًا العصير والحلوى كما كانوا يضعونه في قواصير، ويحمل إلى أقصي الهند والصين وقيل أنه ليس في الفواكه اليابسة ما هو أطيب منه[٣].

كما عرفوا صناعة العصير من بعض الفواكه لاسيما تلك التي تسمى(العلو) والتي يصبون عليها الماء فتصبح حلوه وإذا يبس عنها الماء صارت فيها حموضة[٤].

،بيروت ،١٩٩١م ، ص٤٤٨؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة / بشير فرنسيس ،كوركيس عواد الطبعة الثالثة ،مؤسسة الرسالة ،١٩٨٥م، ص٤٨٣.

(١) عيسى صالحين: حفظ الفواكه طرية لمدة طويلة في ضوء التراث العربي الإسلامي، مجلة العصور، ٥ أجزاء، ج١، لندن، ١٩٩٠م، ص ١٧٦؛ فيصل سيد طه: مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) عيسى صالحين: مرجع سابق، ص ١٤٢؛ فيصل سيد طه: الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور منذ مستهل القرن الثالث الهجرى حتى قيام الدولة الغزنوية ، رسالة ماجستير ،القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ١٤٣.

(٣) ابن بطوطة(أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتى ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، بيروت ،١٩٩٢م ص ٢٤٢.

(٤) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

٣-صناعة الزبيب:

وكانت صناعة الأعناب من أشهر الصناعات الزراعية في ما وراء النهر وعلى الأخص في خوارزم حيث أفاد منها، السكان في الصناعة، فصنعوا الزبيب والنبيذ كما كانوا يتناولون الزبيب إذا ما قل العنب، كما حرصوا على تحديد وقت قطف العنب بدقة، من أجل ضمان جودة الزبيب الذي يصنع منه، وذلك لتعليقه لكي يستخدم وهو طري[١]، ويذكر ياقوت عن خوارزم في هذا الصدد "وما ظننت أن في الدنيا بقعة سعتها سعة خوارزم، وأكثر من أهلها"[٢].

٤-صناعة الخمور:

اشتهرت بلاد ما وراء النهر بصناعة الخمور، فصنعوا الخمر الكثير من "الفوة"[٣] وقد اشتهر بهذهالصنعة المجوس واليهود والنصارى[٤]، كما حرص سكان بخارى على الحفاظ على العنب وادخاره من سنة لأخرى وذلك لصناعة الخمور منه[٥].

---

(١) الطبري (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ /٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٦،دارا المعارف ،القاهرة ،١٩٦٤م ص٤٦٣؛ البيروني: الأثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزج،١٩٢٣م ، ص ٢٤١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٣.

(٣) **الفوة** : هي عروق نبات يستخرج من الأرض رأسه حب أحمر غامق يستعمل في الصباغة وقد اشتهرت زراعتها في القواذيان، ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن أحمد ت ٧١١هـ /١٣١١م : لسان العرب، تحقيق :عبدالله على الكبير وآخرون ،الجزء الثاني ، دار المعارف ،القاهرة ، د.ت ،ص ١١١٥ .

(٤) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج٤، ص٤٩٠

(٥) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص ٤٩٠

٥-صناعة الأطعمة الفاخرة:

اشتهرت بعض مدن بلاد ما وراء النهر بصناعة الأطعمة الفاخرة مثل مدينة "الطواويس" والتي اشتهرت بمطاعمها ذات المأكل اللذيذة[١].

٦-صناعة العسل المصفى:

ازدهرت صناعته في "ولوالج" وكان يسمى "البيرة"[٢].

٧-صناعة الحلوى:

اشتهرت ما وراء النهر وخاصة مدينة خوارزم بصناعة الحلوى والمربات والعسل والملابن والكحك والحلوى[٣]، وكذلك ازدهرت صناعة الحلوى في بخارى فصنع بها الحلوى المحشوة والمصنوعة منالدوشابوالقنطاري[٤]، وخاصة في مدينة "شرغ" التي كانت لها شهرة فائقة في نواحي بخارى كلها وممن اشتهر بصناعتها: أبو

---

(١) النرشخي: مصدر سابق ، ص٣٠؛ ابن حوقل: مصدر سابق ، ج٢، ص ٤٠٣.

(٢) المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٤؛ محمد مرسي هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢١، ١٩٦٥، ص١١٩.

(٣) عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي منذ ظهور السلاجقة حتى الغزو المغولي،الطبعة الأولى ، دار القثقافة للنشر ،القاهرة ،٢٠١٢م ، ص٣٠٠.

(٤) **الدوشاب:** هو عصير الفاكهة المغلي على النار أما القنطاري فهي حشيشة مرة الطعم مقوية للمعدة، النرشخي: تاريخ بخارى ، ص ٣١؛ السمعاني(أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢هـ /١١٦٦م): الأنساب، تقديم وتعليق /عبدالله عمر البارودي ،الطبعة الأولى ، دار الجنان ،بيروت ،١٩٨٨م ،ص ١٧٤؛ قحطان الحديثي: "التنظيمات الاقتصادية في خراسان"، مجلة الخليج العربي ،السنة الخامسة عشرة ،المجلد التاسع عشر ، العدد الثالث ،جامعة البصرة ،بغداد ،١٩٨٥م، ص ١٣٢.

محمد عبد العزيز الملقب بشمس الأئمة، وكان من أشهر علماء الرأي ببخارى[١]، وعرفت ما وراء النهر نوع أخر من الحلوى يسمي "الفالوذج" وعرفه العرب قبل الإسلام إذ نقلوه عن الفرس[٢].

٨-صناعة الألبان:

تعد صناعة الألبان من الصناعات الهامة في بلاد ما وراء النهر ، بسبب وفرة الثروة الحيوانية من الأبقار ولصناعة الألبان أهمية كبيرة وذلك لأن اللبن يحتوي على جميع العناصر الغذائية الضرورية التي يحتاج إليها جسم الإنسان من بروتينات ودهون وكربوهيدرات وأملاح معدنية وفيتامينات وماء ، كما أن اللبن غذاء سهل الهضم لا يتخلف عنه أي فضلات ضارة كالألياف أو القشور والبذور وغيرها مما قد تؤدي إلى عسر الهضم، ويضم اللبن مجموعة هائلة من الفيتامينات القيمة الغذائية

---

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٠.

(٢) عبد الباري محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم الإسلامي، ط ١، الفيوم، ١٩٩٤م؛(يحكي أن عبد الله بن جدعان أحد سادات قريش وفد على كسرى فأكل عنده الفالوذج أو "الفالوذ" فأعجبه فسأل عنه فقالوا "لباب البر يلبك بالعسل، فطلب منهم أن يأتوه بغلام يجيد صناعته، وصحبه معه إلى مكة حيث صنع الفالوذج، ومد الموائد وأمر مناديه أن ينادي من فوق داره : "ألا من أراد الفالوذ فليحضر" فحضر الناس ، وكان من بينهم أمية بن أبي الصلت الذي قال في تحية الداعي بهذه المناسبة):

ومالي لا أحييه وعندي مواهب يطلعن من النجاد

إلي وإنه للناس نهي ولا يعتل بالكلم الصوادي

إلي ردح من الشذي ملا لباب البر يلبك بالشهاء

(أبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين ٣٥٦هـ – ٩٧٦م): الأغاني ، ج٨ ، مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ص ٣٢٩.)

العالية ألا وهي أ، د، هـ، ك ،ج ،ومجموعة فيتامينات ب[١]وكانت صناعة الألبان معروفة في بلاد ما وراء النهر فذكر اليعقوبي[٢] عن بعض سكان ما وراء النهر "وغذائهم من ألبان الحجور ، وهي إناث الخيل "

٩-صناعة الزبد والجبن:

الزبد هو ناتج دهني يصنع بتجميع حبيبات الدهن التي بالقشدة بتقليبها بطريقة خاصة (الخض) تحت ظروف معينة فتتكون مجموعات كبيرة من حبيبات الدهن تسمي حبيبات الزبد وينفصل سائل لبني يسمي اللبن الخض وأساس عملية التحول هذه هو انقلاب الوسط وتحول الدهن من مادة منتشرة في مصل اللبن (القشدة) إلى وسط انتشار لمصل اللبن (الزبد) [٣] ، وقد عرفت هذه الصناعات في ما وراء النهر إذ كانت شائعة في خوارزم[٤].

١٠-صناعة تمليح الأسماك:

اشتهرت بصناعة تمليح الأسماك مدينة خوارزم[٥].

---

(١) مصطفى كمال مصطفى: أسس وتكنولوجيا الصناعات الزراعية والالبان، كلية الزراعة، فرع جامعة القاهرة بالفيوم، ١٩٩٤، ص٣٦٩.

(٢) اليعقوبي : معجم البلدان ، ص٢٩٥ ،ألبان الحجور وهي إناث الخيل .(ابن منظور : لسان العرب ، ص ٥٧٣).

(٣) مصطفي كمال مصطفي: مرجع سابق، ص٣٧٥.

(٤) بارتولد: تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ،نقلة عن الروسية :صلاح الدين عثمان هاشم ،الطبعة الأولى ،الكويت ،١٩٨١م ، ص ٣٦٥.

(٥) بارتولد: تركستان، ص ٣٦٥.

١١-صناعة الزيوت:

كانت هذه الصناعة من المهمات الضرورية للمجتمع الاسلامي وفي الوقت نفسه فإن بعض مشتقاتها كالعطور تعد من وسائل الترف[١]، وتتواجد الزيوت والدهون في الطبيعة في النباتات والحيوانات وينتج كل من النبات والحيوان كميات من الزيت والدهن خلال فترة حياته، وتعتبر النباتات الحولية أكبر مصدر للزيت،في الوقت الحاضر ومن أمثلتها بذرة القطن وفول الصويا والفول السوداني وبذور الكتان والسمسم وغير ذلك أما الأشجار فهي المصدر الثاني للزيوت النباتية مثل أشجار جوز الهند ونخيل الزيت والزيتون[٢]، وتلعب الزيوت والدهون الغذائية دورًا أساسيًا وحيويًا بالنسبة للإنسان فهي مصدر جيد للطاقة اللازمة لحياة الإنسان وأنشطته المختلفة كما أنها تحتوي على الأحماض الدهنية الأساسية اللازمة لنمو الإنسان[٣]، وقد تركزت هذه الصناعات في كثير من المدن فاشتهر اقليم الشاش بصناعة الدهون المستخرجة من بذور الكتان[٤]، كما توافرت في إقليم خوارزم صناعة الزيوت القائمة على السمسم، إذ وجدت بها العديد من المعاصر التي كان يتم بها ذلك[٥]، كما اشتهرت بصناعة مشتقات الزيوت[٦] كالشمع وقصب الطيب والمسك[١].

---

(١) قحطان عبد الستار الحديثي: التنظيمات الاقتصادية في خراسان، ص ١٢٧.

(٢) سعد أحمد حلابو وآخرون: مقدمة في تصنيع الزيوت ومنتجاتها، كلية الزراعة، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٠.

(٣) مصطفى كمال مصطفى: مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٢٦؛ محمد مهدي خليفة: رسالة ماجستير ، ص١١١.

(٥) اليعقوبي: معجم البلدان ، ص ٢٧٨.

(٦) حنان مبروك اللبودي : قيام دولة شاهات خوارزم ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،٢٠١٣م، ص ٢١٢.

ثانيًا: الصناعات الغير غذائية:

١- صناعة النسيج[٢]:

تعد صناعة النسيج ، من أقدم الصناعات التي نشأت مع الانسان منذ فجر التاريخ ،وكانت وليدة حاجته إلى وقايته من العوامل الجوية حيث برد الشتاء القارس ،وحر الصيف اللافح مما جعله يلجئ الى البيئة ليستعمل منتجاتها كساًء يصنع منه نسجًا ملائمًا لحمايته من هذه االعوامل وقد استخدم الخامات الزراعية النباتية كالكتان والأقطان والحيوانية كالأصواف [٣]، وتعتبر صناعة النسيج بأشكالها المتعددة هي المهنة الأكثر انتشارًا في ما وراء النهر وخاصة في بخارى وسمرقند ويرجع ذلك إلى توفر مقومات هذه الصناعة والتي اعتمد أكثرها على القطن والصوف الذي تنتج كميات كبيرة وجيدة منهما، وبعضها اعتمد على نسيج الكتان، ومنها ما استخدم خيوط الحرير سواء منها المجلوب من الصين أو المنتج محليًا من تربية كميات من

---

(١) عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المشرق الاسلامي، ص١٩٩.

(٢) تعني كلمة نسيج سريان خيط أو عدة خيوط فوق وتحت خيوط أخرى متجاورة ومتوازية بطريقة ملتوية والمنسوج عبارة عن جسم مسطح رقيق يتكون من مجموعة خيوط طولية أي رأسية على النول ، يطلق عليها اسم السدى تتشابك أو تتعاشق أو تتقاطع مع خيوط عرضية أي أفقية على النول ، تعرف باسم اللحمة تقاطعًا منتظمًا يختلف في مظهره ونوعه تبعًا لتركيب النسيج المطلوب ، وتعتبر خيوط السدي واللحمه هما العنصرين الأساسيين في جميع أنواع الأنسجه التي يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هي : المنسوجات العادية والوبرية (أي التي وبرها غير مقطوعة) ومنسوجات الشبكية وهي التي تتكون سداتها من خيوط ثابتة وأخرى متحركة تحدث بها ثقوبًا ظاهرة على سطح القماش (عائشة عبدالعزيز التهامي : النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن (٨هـ _١١هـ)،دراسة أثرية فنية ،الطبعة الأولى ، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر ، الأسكندرية ، ٢٠٠٣م ، ص ١٠٩

(٣) أنصاف نصر وكوثر الزغبي : دراسات في النسيج ، دار الفكر العربي ،١٩٤٦م ، ص ٣٠٣

دودة القز نتيجة توفر أشجار التوت هناك[١]، وكان لصناعة النسيج أهمية كبيرة وخاصة لبعض مدن ما وراء النهر فالبنسبة لخوارزم فنظرًا لطبيعتها الجغرافية والبرد القارس بها كان أهلها في أشد الحاجة إلى نوعية من الملابس الثقيلة[٢]، وأكد ذلك ابن فضلان بقوله "وأمرنا من كنا نأنس به من أهل البلد، بالاستظهار في الثياب والاستكثار منها، وهولوا علينا الأمر وعظموا القصة فلما شاهدنا ذلك كان أضعاف ما وصف لنا فكان كل رجل منه عليه قرطق[٣] فوقه خفتان[٤]، وفوقه بوستين[٥]،

---

(١) فامبري: تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر،ترجمة /أحمد محمود الساداتى،راجعه / يحيي الخشاب ، الطبعة الثالثة ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ،١٩٨٧م، ص ٢٥؛ هويدا عبد المنعم سالم إدريس: مدينة بخارى في العصر الساماني، رسالة ماجستير بقسم التاريخ، كلية آداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص ٩٩ –١٠٠؛ إبراهيم عبد المقصود عبد الونيس: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي (٦١٦ – ٧١٧هـ / ١٢٩١ – ١٣٧٠م)، دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠١٥م، ص١٥٤.

(٢) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ٣٠٤؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٨١ – ٤٨٢؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٥.

(٣) **القرطق:**بضم فسكون فضم : كلمة فارسية معربة وأصلها في الفارسية كرته : ومعناها القباء ذو طاق واحد .وقد دخل العربية واشتقوا منه ؛ فقالوا : قرطقتهفتقرطق ؛ أي ألبسته القرطق فلبسه ، ابن منظور : لسان العرب ،ج٤ ، ص٢٧٢٥، طوق؛ وعند دوزي : القرطق : سترة قصيرة أو قميص وهذه السترة تسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم ، وهذا القميص يلى الجسم مباشرة ، وله كمان يصلان إلى المرفقين ؛ دوزي .رينهارت : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : د/ أكرم. فاضل ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٢٩٢ .

(٤) **الخفتان:** هو يشبه (الجاكيث) أو القفطان الذي يوضع تحت الثياب.

(٥) **البوستين:** عباءة أو معطف كبير من جلد الغنم.

وفوقه لبادة[١]، وبرنس[٢]، لا يبدو إلا عيناه وسراويل[٣]، وطاق[٤]، أخر مبطن وران[٥]، وخف كيمخت وفوق الخف خف آخر، فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لا يقدر أن يحرك بما عليه من الثياب[٦].

---

(١) **اللبادة:** بضم اللام وتشديد الباء : لباس من لبودة واللبد واحد واللبذة أخص منه واللبادة قباء من لبود ، وقيل : اللبادة ما يلبس منها للمطر ، ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص ٣٩٨٥ ، لبد .

(٢) **البرنس:** كلمة يونانية معربة ، أصلها في اليونانية : Burnousوهي تعني رداء أو ثوب رأسه ملتصق به ، أو رداء رأسه منه ، معطف طفل ثوب طويل بقلنسوة أو غطاء للرأس والعنق ، رجب عبدالجواد إبراهيم : المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص من الجاهلية حتى العصر الحديث ، تقديم : محمود فهمي حجازي ، راجع المادة المعربة : عبدالهادي التازي ، ط١ ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٠ ؛ والبرنس في العربية يعني قلنسوة طويلة كان الناس يلبسونها في صدر الإسلام أو هو كل ثوب رأسه منه ملتصق به ذراعه كان ، أو جبة أو ممطرًا ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٤ ، ص١٠٨ ، مادة برنس .

(٣) **السراويل:** كلمة فارسية معربة ؛وأصلها في الفارسية :شلوار ؛ومعناه لباس يستر العورة إلى أسفل الجسم ، المعجم الفارسي الكبير ، ج٢ ، ص١٧٤٨؛ وعند دوزي : السراويل كانت شائعة الإستعمال في الأندلس ،وفي المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس ،فقد كانت النساء المغربيات يرتدين عند خروجهن تلك السراويل الكتانية البيضاء ؛ وهي تتدلى حتى تصل إلى مواضع أقدامهن ، كما كان الرجال في مدينة فاس يرتدي كل واحد منهم سروالًا من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه ؛ وهو ضيق للغاية من أسفله ، دوزي : المعجم المفصل ، ص١٦٨ .

(٤) الطاق: بفتح الطاء ضرب من الملابس ، قال ابن الأعرابي : هو الطيلسان ؛ وقال كراع هو الطيلسان الأخضر ؛ قال رؤبه : ولو تري إذ جبتى من طاق ولمتى مثل جناح غاق ؛ ضرب من الثياب بغير جيب يلبسه المولود غالبًا وقيل هو الكليسان، ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، ص ٢٧٢٥ ، طوق .

(٥) **الران:** نوع من الأحذةوالكيمخت: نوع من الجلد لعله من جلد الخيل.

(٦) ابن فضلان(أحمد بن العباس بن راشد بن فضلان): رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك، حققها وعلق عليها د/ سامي الدهان ،الطبعة الأولى ،دمشق ، ١٩٨٨م ، ص

وقد اهتم الحكام بصناعة النسيج فنجد في عصر السلاجقة حدثت نهضة كبرى في صناعة النسيج سواء من حيث تقدم اساليب الصناعة والزخرفة أو من حيث ازدياد مراكز النسيج وانتشارها في سائر الأفاق التي خضعت لحكم السلاجقة وكان بعض قطع النسيج يشتمل علي حكم وأشعار من ذلك قطعة تنسب إلى إقليم فارس عليها كتابة نصها "لا تأمن الموت في طرف ولا نفس، ولو تمتعت بالحجاب والحرس" وقطعة أخري عليها عبارة "كل ابن انثى وإن طالت سلامته يومًا على آلة جدباء محمول"[١].

كما تعددت مراكز صناعة النسيج في ما وراء النهر فكان ببخارى دار صناعة تقع بين السور والمدينة قرب المسجد الجامع، كانت تنسج بها البسط والسرادقات واليزديات[٢]، وكذلك انتشرت مراكز صناعة النسيج في اسبيجابواستوا ، هذا وقد ظهر نوعان من دور الطراز[٣]، أولهما دور الطراز الخاصة وهي التي كانت

---

٨٦ – ٨٧؛ علي أكبر دهخدا: لغة نامة،، المجلد العاشر ، دائرة المعارف،جامعة طهران ١٩٦٤م ، ص ٨٠٠.

(١) حسن الباشا: الحضارة الاسلامية، ص ١٧٦.

(٢) **اليزديات:** نوع من القماش الفاخر (النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٩).

(٣) الطراز: بكسر الطاء كلمة فارسية معربة ؛ وأصلًا في الفارسية : تراز ، ومعناها في الفارسية : النقش : وقد نقلت إلى العربية قديمًا منذ العصر الجاهلى ، والطراز بالكسر ما ينسج من الثياب للسلطان والطراز علم الثوب ، ابن منظور : لسان العرب ، ج٤ ، ص ٢٦٥٥؛ طرز .، والطّراز الرقّام الذي يعمل الطراز أو يطرز الثياب ونحوها بخيوط الحرير أو بأسلاك الذهب أو الفضة ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٥٧٤ ؛ والطراز هي الثياب التي تصنع للسلطان ، وتطرز بالحرير أو الذهب أو بلون مخالف للون القماش أو الطرز الأخرى ، وكان السلطان يخصص دارًا لتصنيع الثياب السلطانية ، تعرف بدار الطراز ، القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشى ، ج٣ ،ص ٤٧٢ والطراز كلمة فارسية الأصل ومعناها التطريز ثم أصبحت تطلق على الثوب الموشي فكان هذا اللفظ يطلق على كل قطعة نسيج عليها كلمات منقوشة ثم صارت تطلق على

تصنع فيها المنسوجات الخاصة بالخلفاء والأقمشة التي كان يخلعها الخليفة على كبار رجال الدولة، وأفراد حاشيته، ووصل اهتمام الخلفاء بهذا النوع من الثياب أن أطلق اسم بعضهم عليها، ومن هؤلاء الخليفة المتوكل (٢٠٦هـ – ٢٤٧هـ/ ٨٢١ – ٨٦١م) الذي أطلق على نوع من الثياب اسم (المتوكلية) والتي يصفها المسعودي بقوله "إنها نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن، والصنع وجودة الصنع"[١]، ثانيهما : دور الطراز العامة ، وهي الخاصة بأفراد الشعب ، وكان لبعض أجهزة الدولة (كالمحتسب) حق الإشراف والمراقبة عليها[٢].

وقد تنوعت صناعة المنسوجات في ما وراء النهر فمنها المنسوجات الكتانية، والقطنية، والحريرية ، والصوفية.

١-صناعة المنسوجات الصوفية:

اشتهرت ما وراء النهر بصناعة الملابس والفرش الصوفية[٣]، فقد اشتهرت اقاليم المشرق الاسلامي لاسيما بخارى بهذه الصناعة فيذكر ابن حوقل"ويرتفع من بخارى

المكان الذي تصنع فيه هذه الأشياء. (حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي ، ج٢ ، ص٢٥٣؛ سامية توفيق: تطور صناعة المنسوجات ، ص٥١٥؛ محمود محمد خلف: مرجع سابق ، ص ٢٣٦.

(١) المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦هـ /٩٥٦م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد ،الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، ١٩٧٣م ج٤، ص٨٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص٨٣؛ محمود محمد خلف ، مرجع سابق ، ص٢٣٦.

(٣) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٣٢؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ١٣٨.

ونواحيها ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالكرابيس[١]، ثقال الوزن غليظة السلك مبرمة الغزل ، فيرغب العرب فيها".

أما الأصطخري[٢] فيذكر عن زي أهل بخاري "ويغلب على زيهم الاقبية والقلانس[٣]"، وممن اشتهر بصناعة الثياب في بخارى الإمام الحجاج أبو محمد بن عبد الجبار الكسائي والذي كان يعظ ويجلس للعامة، واشتهر بالعلم والخيل وقد توفي ودفن ببخاري[٤]، واشتهر أهل سمرقند بصناعة الملابس الصوفية وذلك عن طريق غزل الصوف واشتهر بهذه الصناعة أبو الحسن علي بن محمد العلكي، كان شيخاً

---

(١) **الكرباس:** هو الثوب الغليظ من القطن ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٨ ، ص١٥٤ ؛ وهو نوع من القماش الخشن المنسوج من القطن كالدهور وتشتهر مدينة شرغ بصناعته (النرشخي: تاريخ بخارى ، ص٣٠) والكرابيس يطلق عليها "الزندنيجي" نظرًا لظهوره أول مرة في تلك المدينة ، وهو يحمل إلى جميع الولايات مثل العراق وفارس وكرمان وتليها مدينة الطواويس ومع كثرة تلك المنسوجات كان يحمل منها العديد الى العراق وكذلك المناطق المجاورة (الاصطخري : المسالك والممالك، ص ٣١٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض ، ص٤٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مجلد أول، ص٤٩٥؛ النرشخي: تاريخ بخارى ، ص٣١؛ حنان مبروك اللبودي: مرجع سابق ، ص٢٠٦؛ كما يطلق على الكرباس أيضًا البفتة ، وتوصف البفتة بالهندي ، ويقال : بفتة هندي للدلالة على الجودة ، والبفتة أنواع : الدبلان والعبك ، أو غزال الطور ، والولاية ، محمد علي الدسوقي : تهذيب الألفاظ العامية ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٢٣م ، ص٢٥٣ .

(٢) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣١٣

(٣) **القلانس** : كلمة لاتينية معربة ؛ أصلها في الإنجليزية المتوسطة : coule ، مأخوذة من الإنجليزية القديمة cugle ، مأخوذة من اللاتينية المتأخرة : cucullus، بمعنى قبعة أوغطاء الرأس ؛ websters : New world Dictionary New Yourk 1984 P.328؛ والقلنسوة في العربية : غطاء للرأس مختلف الأشكال والألوان ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص٢٧٢٠ ؛ قلس .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج ٢، ص ٣٤٦

صالحاً ، سديد السيرة كثيرة تلاوة القرآن الكريم وكان يتكسب من عمل المغازل[١]، واشتهر بغزل الصوف وعمل الأكسية ابن الخرعوني، وقد بعث به والده إلى سمرقند عام (٢٣٣هـ/ ٨٨٤م) طلباً للعلم وفي خلال سبعة أعوام جودا العلوم، بينما كانت أمهما تنفق عليهما من عملها في غزل الصوف[٢]، واشتهرت مدينة الصغانيان بصناعة المنسوجات الصوفية حيث تنسج البزاه الرفيعة القرطاسية الشهي، والدرهميةالمقرنقة[٣]، وأهل خوارزم اهتموا بصناعة المنسوجات الصوفية ويرجع ذلك إلى قسوة المناخ وشدة البرد واستمرار الصقيع والثلوج فترة طويلة من السنة[٤]، فيذكر ابن حوقل عن خوارزم "ويرتفع من خوارزم ثياب القطن والصوف وأمتعة كثيرة تصل إلى الأفاق"[٥].

وكان رواج صناعة المنسوجات الصوفية في قرى خوارزم واختصاصها بصناعة الوبر وألوان الثياب، ذلك بفضل وفرة الأغنام التي انتشرت تربيتها في معظم قرى خوارزم[٦]، كما جلبت من بلدان الترك إلى خوارزم أعداد وفيرة منها[٧]، وقد تأثرت هذه الصناعة بالصناعة المصرية فيذكر المقريزي في هذا الصدد"وإن كانت كواغد سمرقند قد عطلت قراطيس مصر، فإن المنسوجات المصرية قد غزت خوارزم"[٨].

---

(١) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٤٠٠؛ محمود محمد خلف: رسالة ماجستير، ص٢٣٧.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٣٤٦.

(٣) قحطان عبد الستار الحديثي: أرباح خراسان، ص٤٤١.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩٧؛ عبد الحميد حسين حمودة، مرجع سابق ، ص٢٩٨.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص٣٩٧.

(٦) القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٠.

(٧) عبد الحميد حسين حمودة: مرجع سابق، ص٢٩٩؛ فوزي حامد عباس: دولة المأمونيين في خوارزم، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د. ت ، ص٥٠.

(٨) المقريزي (تقي الدين أبى العباس أحمد بن على ت ٨٥٤هـ) : الخطط ، تحقيق /سلطان بن هليل بن عيد المسمار، ط١، ج١،بيروت ،٢٠٠٧م ص٥٨٣.

ومن ثم أطلقوا على بعض منسوجاتهم اسم الدبيقي[١]، نسبة إلى بلدة دبيق بمصر كما أطلقوا على نوع آخر: الثياب الأشمونية مأخوذة من بلدة أشمون المصرية[٢].

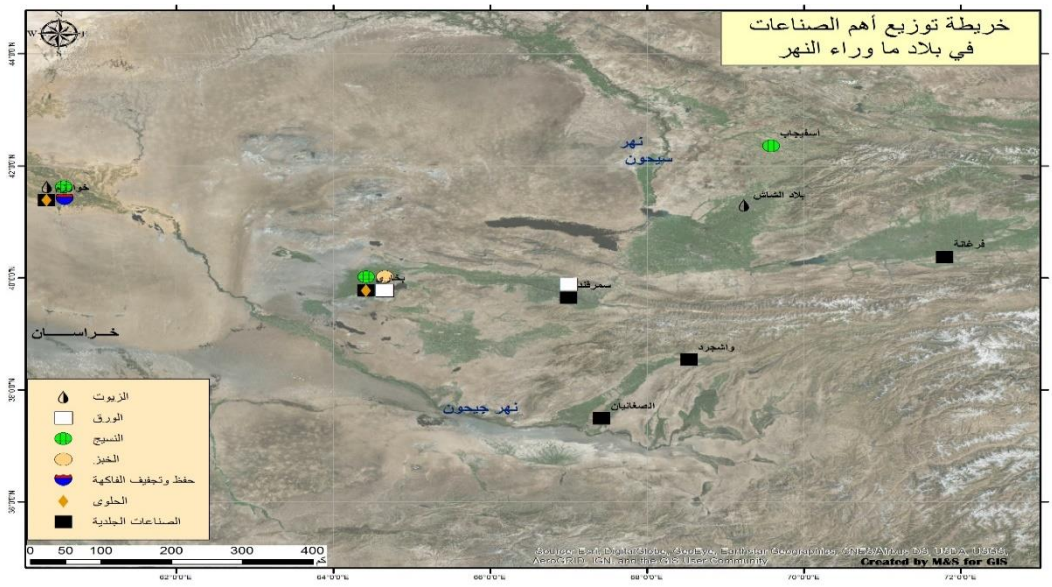

(جهد مبذول من الباحثة لتوضيح الصناعات الزراعية في بلاد ما وراء النهر بالاستعانة بكتاب لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية)

٢-صناعة المنسوجات القطنية:

من أكثر المنسوجات التي اشتهرت بها بلاد ما وراء النهر الثياب القطنية، ومن أمثلتها الثياب الويزاريه ، نسبة إلى مدينة ويذار شرقي سمرقند، وذكر ابن حوقل عنها "وويذار مدينة يعمل بها الثياب الويذارية القطنية وهي ثياب تلبس خاماً غير

---

(١) **الدبيقي**: ثياب تنسج من الكتان، ويضم إليه أحيانا الذهب والحرير (ابن منظور: لسان العرب، ص).

(٢) المقريزي: الخطط، ص ٥٨٨؛ د/ صفي علي: مدن مصر الصناعية، ص ٨٢.

المقصورة، وفيها قليل صفرة وكأنها للينها خز وتجلب إلى فارس والعراق وسائر الأقطار فتستحسن ولها بقاء معروف ، وليس بخراسان أمير أو وزير أو قاضي أو عامي أو تاني أو جندي إلا والثياب الويذارية الظاهرة على ما يلبس من فاخر الثياب في الشتاء وجمالهم بها ظاهر وزينتهم بها فاشية وفيها نعمة وهي ثياب ثقيفة ترفة ويبلغ الثوب منها من عشرين دينارًا إلى دينارين ولبست غير ثوب منها خمس سنين وتستهد من العراق وتجلب فيفتخر بلبوسها"[١]، وذكر الإدريسي عن ثمن الثوب قول آخر "ويبلغ ثمن الثوب منها من ثلاثة دنانير إلى عشرين دينارا على قدر جودته أو ردائته وهي ثياب تفوق الثياب في جودتها وصحة عملها وحسن صنعتها"[٢].وهذا ما يؤكده المقدسي بقوله "إن الثياب الوذارية على لون المصمت، وكان يسميها بعض السلاطين ببغداد بديباج حرير – خراسان"[٣]، كما وصفها الإدريسي "بأن لونها يشبه الزعفران، لينة الملمس ، يحمر الثوب منها كثيرًا، ويستخدم لمدة طويلة"[٤]، كما اشتهرت مدينة سمرقند بالثياب الوذارية[٥]، وكذلك الثياب السمرقنديةوالزيارية

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٤٠٤؛ فامبري: تاريخ بخاري، ص ٢٥.
هويدا عبد المنعم سالم ادريس: مدينة بخاري في العصر الساماني، رسالة ماجستير بقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٩٩١، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص ٥٠١.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٢٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٥.

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،جـ١، ص٥٠١.

(٥) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٣١٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول، ص٤٩٥.

والديباج[١]، وثياب حمر تسمىممرجلوسينبزي[٢]، واشتهرت مدينة الصغانيان ومدينة "واشجرد" بالأنسجة القطنية[٣].

واشتهرت الشاش بصناعة الملابس القطنية فكان يصنع بها القلانس، أما "بنكث" وهي قصبة الشاش ، فصنعت بها الثياب على الطراز التركستاني، وفي "أسفيجاب" صنعت الثياب البيض الكثيرة، وقد اشتهرت اسبيجاب بسوقها المسمى الكرابيس أي "القطانين"[٤]، وكانت تصدرها إلى غيرها من البلدان[٥]، وكانت الثياب القطنية الثقيلة هي المفضلة لدى البدو الرحل فكانت تنسج غالباً من الصوف وبعضها من القطن، ومن أشهرها الثياب المعروفة بالبخارية[٦]، هذا بالإضافة إلى

---

(١) **الديباج:** نسيج حريري ملون بألوان وهو لفظ فارسي وديبا نوع من القماش الحرير الملون (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٠٤؛ محمد التنوحي: مرجع سابق ، ص ٦٨٦،وكان يطلق على ثياب الروم الديباج ، ويضرب بحسنها المثل ويشبه بها ما يستحسن من أثار الربيع ، وقال الشاعر :

هذا الربيع كأنما أنواره أبناء فارس في ثياب الروم (الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،دار المعارف ،القاهرة ، د.ت، ص ٥٣٥)

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٤؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٨٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المجلد الأول ، ص٤٩٥.

(٣) قحطان عبد الستار الحديثي: أرباع خراسان، ص٤٤١؛ حنان مبروك اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٧.

(٤) الجاحظ(أبي عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ /٨٦٨م): رسائل الجاحظ ،الجزء الأول ، القاهرة ،١٩٦٤م، ص١٩ – ٢٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقليم ، ص٣٢٥ ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٦٥ ، ٥٠٢.

(٥) Syrian Ajan: the prayer Bug of Islam, poetry, vol, 12, poetry foundation, 1918, p237.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٤٣.

انتاج كميات من الكمخا[١]، والأطلس[٢]، والتي كانت تعتبر هدايا العظماء في هذه الفترة[٣]، أما الأصطخري فيذكر عن ثياب القطن في ما وراء النهر فيقول "أما الملبوس ففيها من ثياب القطن ما يفضل عنهم ، حتى ينقل عنهم إلى الآفاق، ولهم الفراء والصوف والأوبار"[٤]، كما عرف أهل ما وراء النهر صبغ الثياب بالألوان

Kasai and Natsaged: socio – economic development food and clothing in eastern Iran and central Asia, p.389.

(١)**الكِمخَاء** : بفتح فيسكون كلمة فارسية معربة وأصلها في الفارسية : كمخا ومعناها في الفارسية ثوب حريري منقوش من لون واحد ، وقد يكون من عدة ألوان وقد انتقلت الكلمة إلى العربية في صورتين ، صورتها الفارسية: كمخا وصورة عربية : ممدودة ، والكمخاء تعني الثياب الحريرية المنقوشة المزركشة ؛ وقد كانت مدينتا نيسابور والخنسا مشهورتين بصناعة الكمخا ، وفي ذلك يقول ابن بطوطة " ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والكمخاء ، وغيرهما وتحمل إلى بلاد الهند"(ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٠٢)؛ الزبيدى : تاج العروس ، ص٣٧٩ ؛ رجب عبد الجواد إبراهيم : المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث ، تقديم : محمود فهمي حجازي ، مراجعة : عبدالهادي التازي ، الطبعة الأولى دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٣٦ .

(٢)**الأطلس** : والطلس : الثوب الخَلَف، ويقال رجل أطلس الثوب ، أي وسخه والأطلس بمعنى ثوب من الحرير منسوج ، فلفظ ليس بعربي ولأطلس في الفارسية يعني الحرير ونوعًا من النسيج يمتاز بلمعان أحد وجهيه ، ويعرف في الأنجليزية satinوفي الفارسية Atlas التي تدل على حرير لامع ذي وجهين ، (الزبيدي : تاج العروس ، ص ١٧٩ ؛ رجب عبد الجواد إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٣) أمر رشيد الدين الهمذاني ابنه مجند الدين حاكم أرض الروم بأن يحضر ٢٠٠ ثوب كمخا و٢٠٠ أطلس من سمرقند لاجل زيارة غازان خان لبلاد الروم وقضائه الشتاء بها (مكاتبات رشيدي ، ص١٥٦، إبراهيم عبد المقصود: رسالة دكتوراه ، ص٢٥٥.

(٤) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١١٦.

المختلفة[١]، واستخدموا في ذلك بعض المواد الكيميائية وممن عمل بهذه الصناعة أبو بكر محمد بن اسحاق العصفري، كان من أفاضل الناس ، وروي عنه جماعة من أهل العلم وأخوه : أبو عمرو محمد بن إسحاق، سمع العلم بسمرقند، وكان من خيار عباد الله الصالحين فضلًا وورعًا[٢].

٣-صناعة المنسوجات الحريرية:

اعتمدت هذه الصناعة على زراعة شجر التوت، والقيام بتربية دود القز المسئول عن إنتاج الخيوط الحريرية[٣]، وتوافر العمال والصناع المهرة العاملون على استخراج تلك الخيوط والقيام بصناعتها وكان يطلق على من يقوم بصناعة المنتجات الحريرية ومن يتاجر بها لفظ "الإبرسيمي" أو "النقاض" وهو من يقوم بقتل الإبرسيم، وهي تطلق على من يعمل الثياب من الإبرسيم[٤]، ويشتغل بها ويبيعها[٥]، وممن اشتهر بهذا اللقب "أبو شريح إسماعيل الشاشي" وهو من علماء الشاش[٦].

---

(١) د/ سرور: تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، ص ١٣٨؛ محمود محمد خلف، مرجع سابق ، ص ٢٤١.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٢٠٣.

(٣) إيرين فرانك: طريق الحرير، ترجمة / أحمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١٥٦.

(٤) **الإبرسيم:** أحسن أنواع الحرير وهو بالفارسية "إبرشيم" (مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢)؛ محمد التنوجي: المعجم الفارسي الذهبي ، فرهنك طلائي ، ط٢، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص٥٦، حنان مبروك، اللبودي، مرجع سابق ، ص٢٠٧.

(٥) السمعاني: الأنساب، ص٢٣٩.

(٦) السمعاني: الأنساب، ص٢٤٠.

ويذكر الجاحظ في هذا الصدد "إن خير الصناعةالخز وخير التجارة البز"[١]، أما البلاذري فقد ذكر انتشار الثياب الحريرية في ما وراء النهر بقوله "قال ابو عبيدة فتح ابن عامر ما دون النهر فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل فيقال أنه عبر النهر حتى آتى موضعاً وقيل بل آتوه فصالحوه وبعث من قبض ذلك فأتته الدواب والوصفاء والحرير والثياب ثم أنه أحرم شكرًا لله ولم يذكر غيرة عبور النهر ومصالحته أهل الجانب الشرقي"[٢]، ويرجع وجود صناعة الحرير في ما وراء النهر إلى الموقع الجغرافي وخاصة بلاد الشاش الواقعة على طريق الحرير والذي تنقل عبره المنسوجات الحريرية من الصين إلي كافة البلاد" وتربية دودة القز فقد برعوا في صناعة المنسوجات الحريرية وتنافسوا مع الصين في ذلك[٣]، وقد كان الفن الفارسي هو المسيطر علي تلك الصناعة، إذ انتشرت اساليب الزخرفة الفارسية من استخدام الخطوط المتشابكة والدوائر المتداخلة ، وكذلك رسوم الحيوانات[٤].

٤-صناعة المنسوجات الكتانية:

(١) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٣؛ قحطان عبد الستار الحديثي: التنظيمات الاقتصادية في خراسان ، ثانيا: الصناعة ص١٢٣.

(٢) البلاذري (أبي الحسن أحمد بن يحيي البغدادي البلاري) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م: فتوح البلدان، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤١٥.

(٣) محمد مهدي خليفة: مرجع سابق ، رسالة ماجستير، ص١١٠.

(٤) إيرين فرانك: طريق الحرير ، ص٢٦٨؛ ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٦٢؛ رمزى رمضان شعبان سبلة: التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سمرقند من الفتح الإسلامي إلي قيام الدولة السامانية، ص١١٩.

ازدهرت صناعة المنسوجات الكتانية في ما وراء النهر خاصة في إقليم الشاش ويرجع ذلك إلى وجود النفط في هذا الإقليم[١]، وكان الكتان قليلاً ببخاري مقارنة بالقطن ومع ذلك قامت عليه بعض الصناعات مثل صناعة الخيام وخياطتها، وممن اشتهر بهذا العمل: أبو صالح خلف بن محمد بن اسماعيل كان من أهل الحديث وتوفي ببخاري[٢]،ومنها أيضاً صناعة الحبال ويسمي (القلانس) واشتهر بهذا العمل أبو إبراهيم اسحاق بن عبد الله القلاس ، من أهل بخارى حدث عن جماعة من أهل العلم[٣].

(١) عادل نجيب: مظاهر الحضارة الإسلامية في الدولة السامانية، ص ١٣١ – ١٣٤.

(٢) السمعاني: الأنساب ، ج٢ ، ص١٨٢.

(٣) السمعاني: الأنساب ، ج٤، ص٥٦٩.

Kasai and Natsaged: socio – economic development food and clothing in eastern Iran and central Asia, p.389.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن:

١- مما ساعد على ازدهار الصناعات الزراعية وتطورها في بلاد ما وراء النهر توفر المواد الخام اللازمة للصناعة والموقع الجغرافي المتميز وسهولة تصريف الصناعات المتعددة في الأسواق، وتوفر الأيدي العاملة اللازمة للصناعة

٢- تنقسم الصناعات الزراعية إلى قسمين صناعات غذائية تعتمد على المادة الخام النباتية أو الحيوانية أو الخشبية والنوع الثاني صناعات غير غذائية مثل صناعة المنسوجات والصناعات الخشبية والجلدية وصناعة الورق .

٣- عرفت بلاد ما وراء النهر صناعة الخبز ووجدت رواجًا كبيرًا وذلك نتيجة توفر الحبوب الغذائية

٤- عرفت بلاد ما وراء النهر صناعة حفظ الفاكهة وكانت هذه الصناعة معروفة عند الأثرياء إذ كانوا يقدمون الفاكهة في غير أوانها

٥- كانت بلاد ما وراء النهر غنية بصناعة الألبان فكانت من الصناعات الهامة في بلاد ما وراء النهر وذلك بسبب وفرة الثروة الحيوانية من أبقار

٦- عرفت بلاد ما وراء النهر صناعة الزيوت المستخرجة من بذرة الكتان ومن السمسم كما وجدت بها العديد من المعاصر التي كان يتم فيها ذلك

٧- صناعة النسيج بأشكالها المتعددة كانت المهنة الأكثر انتشارًا في بلاد ما وراء النهر وخاصة في بخارى وسمرقند وخوارزم

٨- تعدد مراكز صناعة النسيج فيما وراء النهر وكان هناك مراكز تقوم بتصنيع المنسوجات الخاصة بالخلفاء والأقمشة التي يخلعها الخليفة على كبار رجال الدولة

٩- حرص الخلفاء العباسيين على اقتناء مثل هذه المنسوجات ووصل اهتمام الخلفاء بالثياب الموجودة في بلاد ما وراء النهر وخاصة اليزديات وهو نوع من الثياب الفاخر أن أطلق اسم بعضهم عليه، ومن هؤلاء الخليفة المتوكل الذي أطلق على نوع من الثياب اسم (المتوكلية).

قائمة المصادر والمراجع العربية

أولًا قائمة المصادر العربية

١- **ابن الأثير:"عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري "ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م:**الكامل في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٩٣م

٢- **ابن الفقيه: "أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى "ت ٣٩٠هـ /٩٩٩م:** مختصر كتاب البلدان ،ليدن ،١٨٨٤م

٣- **ابن حوقل: "أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م":** صورة الأرض، الطبعة الثانية ،ليدن ،١٩٢٨.

٤- **ابن خلكان: "شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد" ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ":** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، عدة أجزاء ، تحقيق / احسان عباس ،دار الثقافة بيروت ،د.ت

٥- **ابن فضلان "أحمد بن العباس بن راشد بن فضلان ":** رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك، حققها وعلق عليها د/ سامي الدهان ،الطبعة الأولى ،دمشق ، ١٩٨٨م

٦- **ابن مسكويه: " أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه أبو على " :** تجارب الأمم ، تحقيق / سيد كروي حسن ،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣م

٧- **الإصطخري"أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت ٣٠٩هـ /٩٢١م":** المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ،١٩٦١م

٨- **البلازري: "أبو العباس أحمد بن يحيي بن جابر ت ٢٧٩هـ " :** فتوح البلدان، تحقيق/ عبد الله أنيس الطباع، د/ عمر أنيس الطباع، بيروت، ١٩٧٨م

٩- **الثعالبي:"أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري ت ٤٢٩هـ /١٠٣٧م ":** ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، د.ت

١٠- **الجاحظ: "أبي عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ /٨٦٨م ":** مناقب الترك، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٤م

١١- **القرماني" أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ت ١٠١٩هـ /١٦١٠م ":** أخبار الدول وأثار الأول ،تحقيق : أحمد الحطيط ، فهمي سعدة، المجلد الثاني الطبعة الثالثة ،عالم الكتب ،بيروت ،١٩٩١م

١٢- **القزويني"زكريا بن محمد بن محمد** ": اثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر ،بيروت ،د.ت

١٣- **المقدسي "شمس الدين أبو عبدالله محمدبن أحمد بن أبي بكر النباء البشاري ت ٣٨١هـ /٩٩١م"**: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طباعة بريل ،ليدن ،١٩٠٩م

١٤- **المقريزي "تقي الدين أبى العباس أحمد بن على ت ٨٥٤هـ** " : الخطط ، تحقيق /سلطان بن هليل بن عيد المسمار، ط١، ج١،بيروت ،٢٠٠٧م .

١٥- **النرشخي" أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي ت ٣٤٨هـ /٩٥٩م** ": تاريخ بخاري، عربة أمين عبدالمجيد بدوي ، نصر الله مبشر الطرازي ،الطبعة الثالثة ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦٥م.

١٦- **ياقوت الحموي " أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموى ت ٦٢٦هـ /١٢٢٨م** ": معجم البلدان، دار الفكر، ج ٣،بيروت ، د.ت .

ثانيًا:المراجع العربية والمعربة

١- **أنصاف نصر وكوثر الزغبي** : دراسات في النسيج ، دار الفكر العربي ،١٩٤٦م

٢- **إيرين فرانك:** طريق الحرير ،ترجمة /أحمد محمود،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،١٩٩٧م

٣- **إيمان محمد زكي:** الأحوال الاقتصادية في خراسان عصر السلاجقة، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤- **حسين المسري:** تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت ، ١٩٨٢م.

٥- **حنان مبروك اللبودي** :قيام دولة شاهات خوارزم (٤٧٠ -٦١٧ /١٠٧٧ - ١٢١٩م)،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،٢٠١٣م

٦- **دوزي .رينهارت** : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : د/ أكرم. فاضل ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧١

٧- **سعد أحمد حلابو وآخرون:** مقدمة في تصنيع الزيوت ومنتجاتها، كلية الزراعة، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

٨- **عبد الحميد حسين حمودة:** تاريخ المشرق الإسلامي الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، القاهرة،٢٠٠٩م

٩- **عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم:** خراسان في عهد السامانيين (٢٨٦ – ٣٨٩هـ/ ٨٩٩ – ٩٩٩م)، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، السباعي محمد السباعي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م

١٠- **عبد الناصر ياسين:** مناظر الفروسية في ضوء فنون الخزف الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة ،٢٠٠٥م

١١- **عطية القوصي:** الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢

١٢- **محمد جمال الدين سرور:** تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٦٥م

١٣- **مصطفى كمال مصطفى:** أسس وتكنولوجيا الصناعات الزراعية والالبان، كلية الزراعة، فرع جامعة القاهرة بالفيوم، ١٩٩٤

١٤- **نعمة علي مرسي:** الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي ، الدولة القرخانية، دار الهداية للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ،١٩٨٧م

ثالثًا: المصادر والمراجع الفارسية

١- **محمد التنوجي:** المعجم الفارسي الذهبي، فرهنك طلائي، ط٢، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م

٢- **علي أكبر دهخدا:** لغة نامة،، المجلد العاشر ، دائرة المعارف،جامعة طهران ١٩٦٤م.

رابعًا: الرسائل الجامعية والدوريات

٤- **إبراهيم عبد المقصود عبد الونيس إسماعيل الشرقاوي:**بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي (٦١٦ ـ ٧٧١هـ /١٢١٩ ـ ١٣٧٠ م)،رسالة دكتوراه ،كلية دار العلوم ، جامعة الفيوم ،٢٠١٥م

٥- **عادل نجيب رستم:** مظاهر الحضارة الإسلامية في الدولة السامانية، رسالة ماجستير، آداب جامعة القاهرة ،١٩٧٨م

٦- **عبد الحميد حسين حمودة:** "اسفيجاب من الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن الرابع الهجرى"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرابع عشر، القاهرة ،٢٠٠٦م

٧- **هويدا عبد المنعم سالم ادريس:** مدينة بخاري في العصر السامانى، رسالة ماجستير بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١.

٨- **محمد مهدي خليفة:** إقليم الشاش منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الخوارزمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب،جامعة جنوب الوادي،٢٠٠٨م.

٩- **عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم:** خراسان في عهد السامانيين (٢٨٦ – ٣٨٩هـ/ ٨٩٩ – ٩٩٩م)، إشراف عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، السباعي محمد السباعي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م

خامسًا: المراجع الأجنبية

1- Syrian Ajan: the prayer Bug of Islam, poetry, vol, 12, poetry foundation, 1918.

2- Kasai and Natsaged: socio – economic development food and clothing in eastern Iran and central Asia.